الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) – دراسة تفسيرية –

أ.د. محمد كاظم الفتلاوي(*)

الملخص

أن.. التربيــة الصالحــة هــي السـبيل الأوحـد لرقــي الفـرد والمجتمعـات، ولا غنــى عنها ولا بديل لها لضبط السـلوك البشـري، ولا يمكن لأي نظريــات تربويــة وضعيــة ان تكـون بديلاً عن التربية الإسلامية التي منبعها القرآن الكريم وقول المعصــوم (عليــه الســلام)، وهذا البحث يسـلط الضــوء على مواضيع أخلاقية يجـد فيها الباحث أهمية بالغة في صلاح المجتمع، وكانت نصوص الكتــاب العزيز وأقوال الإمام المعصوم رائده في تعزيزهــا أو إيجــاد الحلول لهــا، وكان الاختيار مــن أقوال الإمــام محمد الجــواد (عليه الســلام) لتكون قطــب البحث وكذلك لبيــان الأثر القرآني فيهــا، إذ إنّ نور القرآن الكريــم والعترة الطاهرة من مشـكاة واحدة، مع الاستعانة بآراء المفسرين فــي تقريب المعنى التربوي فيها، ويشـمل البحث علــى مطلبين، المطلب الأول عــن الأثر القرآني التربــوي في فكر الإمــام الجواد (عليه الســلام) (التربيــة الروحية)، والمطلــب الثاني عن الأثر القرآنــي التربوي فــي فكر الإمام الجــواد (عليه الســلام) (التربية الاجتماعيــة) تلتهما خاتمة فيها أبرز النتائج وقائمة بالمصادر.

الكلمات المفتاحية: (الأثر القرآني، التربوي، الإمام الجواد، تفسيرية).

المقدمة

إنّ للقيــم التربويــة فــي القــرآن الكريم وسُـنة المعصوم (عليه السلام) أهمية بالغة؛ بل وأساس في توجيه الفرد وارشاده الى ما فيه خيره، وكذلك في اصــلاح المجتمع من الانحرافات الاجتماعية الســلوكية التي ابتليت بها المجتمعات الإســلامية فــي عصرنــا الحاضــر، ولأســباب عديــدة كان

(*) جامعة الكوفة / كلية التربية (المختلطة)
mohamadk323@gmail.com

أهمها هجر المنهج الإسلامي التربوي الأصيل والاعتماد على مناهج وفلسفات تربوية أخرى لا تمت للإسلام بصلة، مما نتج عنه ابعاد الاجيال المسلمة عن منابع السماء الكامنة في معاني القرآن الكريم وسيرة العترة الطاهرة (عليهم السلام) وهجرها، وبالتالي ضياع روح الفرد في دهاليز الآراء والنظريات وضبابية القصد من الوجود الإنساني، وكذلك تفكك الاسرة وتحلل المجتمع وانحرافه في قيمه وتعامله المضطرب وانتشار الظواهر السلبية فيه، فكان كلما تمت معالجة مشكلة برزت مشكلة اعوص منها في جانب آخر وهكذا يلحظ كل متتبع وباحث تربوي في عالمنا المعاصر.

وعليه لا يمكن بحال من الأحوال ان نجد ضالتنا التربوية في تجارب الآخرين من الأمم وان كان بريق اعلامهم متطاول العنان، إذ قد لاحت في الأفق القريب تداعيات نظرياتهم الاجتماعية وتفاقمت مشكلاتهم التربوية في جميع ميادين الحياة، وهنا يتأكد لنا ان لا صلاح لأمة الإسلام إلا بما صلح به أولها، وهو العودة الى السماء وما قررته من منهج تربوي إسلامي تكفلت بصلاحه في كل زمان ومكان.

والإمام محمد الجواد (عليه السلام) (ت: ٢٢٠هـ) من أهل بيت النبوة والعترة الطاهرة وعدل القرآن الكريم، والعالِم العامل في تربية الفرد والمجتمع، ومع ان ظروفه (عليه السلام) العامة لم تكن هادئة إذ واجه (أمواج الحياة وعواصفها الهوجاء، وفتن الأعداء ومؤامراتهم النكراء، وشدائد الزمن وأعاصيره العاتية السود)[١]، إلا انه كان يستثمرها مجاهداً (لأداء رسالته واجتمع فيها الشيعة على امامته وروى عنه الرواة عشرات الاحاديث في مختلف المواضيع)[٢].

نعم، ان الإمام الجواد (عليه السلام) وريث مهام الأنبياء (عليهم السلام) في هداية الناس، ولّما كانت النبوة الخاتمة هي من شرعت منصب الإمامة، كانت الإمامة بذلك الامتداد الشرعي الطبيعي لوظيفة النبوة الهادية من الضلال، الداعية الى الحق وأحقاقه، ومحق الباطل وازهاقه، وهكذا كان حال آبائه الكرام (عليهم السلام)، فكان اهتمامه (عليه السلام) (منصباً على استثمار الجهود السابقة لآبائه، وتجسيدها على الواقع العملي)[٣]، فهو (عليه السلام) خلاصة أولئك العظماء المربين الذين آتاهم الله عز وجل ما لم يؤت أحداً من العالمين.

وقد كان فكره (عليه السلام) التربوي يؤكد في أقواله الشريفة على ما يحتاج إليه الإنسان في بُعديه الفردي والاجتماعي من تهذيب وصلاح ونشر القيم الأخلاقية النبيلة للوصول الى الفلاح والنجاة في الدارين.

وعليه تكمن **أهمية البحث:** أنْ جاء محاولة من الباحث في بيان المنهج التربوي الإسلامي الحركي الواقعي من خلال ينبوعه الأصيل المتمثل بالكتاب العزيز والعترة الطاهرة (عليهم السلام). وان نتطلع إليه متعلمين مسترشدين، وأن نستجلي مرامي فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) متأملين فاحصين، لخطورة موضوع التربية في واقع المسلمين لا سيما في هذا العصر، ومحاولة الإفادة من هذه الدراسة بصورة عملية، وذلك من خلال استنباط الحلول لقضايانا، والعلاج لما أصاب الفرد والأمة من مصائب أخلاقية تحتاج الى تبصرة تربوية.

أما **سبب اختيار موضوع البحث:** فهناك أسباب منها ذاتية وأخرى موضوعية دفعت الباحث الى اختيار موضوع البحث كان منها:

١- رغبة الباحث في خدمة القرآن الكريم والعترة الطاهرة (عليهم السلام).

٢- المساهمة في تعزيز القيم الإسلامية الاصيلة من منابعها الرصينة.

٣- الوضع الراهن للشباب المسلم والحاجة الى التبصير بالتربية الإسلامية ومكارم الأخلاق.

٤- المجتمع الإسلامي المعاصر وتفكك الروابط في بنائه الاسري والعام يدعونا لوضع لبنة خير فيه.

٥- إن ظروف التضييق على أهل بيت النبوة من قبل الحاسدين والحاقدين والانتهازيين لا سيما حول شخصية الإمام محمد الجواد (عليه السلام)[٤]، وضياع الكثير من تراثه الشريف يحتم علينا كمسلمين موالين بيان معارفه الكريمة للناس.

أما منهج البحث فكان المنهج الوصفي التحليلي فهو الأقرب الى البحوث الإنسانية إذ: يهدف الى وصف المواضيع والأحداث وبيان العلاقات التي تربط بينها وتحليلها ووسائلها وتفسيرها الواقعي وأخذ الدروس والعبرة منها مع استشراف تأثيراتها المستقبلية.

دراسات سابقة: اطلع الباحث على جملة من الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع بحثه، منها الاكاديمية وأخرى غير ذلك، فكان اهتمامه بالأكاديمية لقربها من حقل بحثه، وهذه الدراسات وجد أقربها الى بحثه – بحسب تتبعه – هي:

١- الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وآراؤه في التفسير والرواية، كريم مجيد ياسين الكعبي، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ٢٠٠٨م.

٢- فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) التربوي، د. باسم قاسم جواد الغبان، مجلة آداب المستنصرية، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، عدد ٦٢، ٢٠١٣م.

٣- النص الإلهي لإمامة محمد الجواد (عليه السلام)، م.م. ابتسام رسول حسين، مجلة التراث العلمي العربي، مركز إحياء التّراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد ١، ٢٠١٣م.

٤- الحياة الفكرية للإمام محمد الجواد (عليه السلام) - دراسة تأريخية-، د. حكمة لفته صكَر، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد٢٢، ٢٠١٥م.

٥- قراءة في زواج الامام الجواد من أم الفضل بنت المأمون، حسن ثاجب محيل الركابي وزينب حمزة عباس، مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، المجلد ٢٠١٩، العدد ٢٦، ٣٠يونيو/حزيران ٢٠١٩م.

٦- منهجيّة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في مواجهة التّحدّيات، د. محسن شعيب، مجلة أوراق ثقافية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، السنة الخامسة، العدد ٢٧، ٢٠٢٣م.

وهذه الدراسات لها قيمتها المعرفية، إلا انها لا تقارب بحثنا في موضوعه وحدوده، وان كان البحث الأول والثاني هما الأقرب له، فالأول كان ناظراً الى الآراء التفسيرية للإمام الجواد (عليه السلام)، وأما البحث الثاني فقد اختصر على أقوال الإمام محمد الجواد (عليه السلام) التربوية من غير تفصيلها أو بيان الأثر القرآني فيها أو ذكر آراء المفسرين في تعزيز موضوعها التربوي، فكان فارق بحثنا هذا عنهما أنْ اعتمد على بيان الأثر القرآني في أقوال الإمام الجواد (ع) وتعزيز المضامين التربوية بآراء المفسرين.

كما ان الباحث لم يتطرق في بحثه الى سيرة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وظروف عصره وذلك لوجود المصادر المتخصصة في سيرته الشريفة، كما أنّ هذا البُعد خارج عن

تخصص الباحث وكذلك حتى لا يخرجه عن حدود بحثه التربوي القرآني في أقواله الشريفة، وآراء المفسرين فيها.

حدود البحث: حتى لا يتشعب البحث ويخرج عن موضوعه التربوي بالاسترسال عمد الباحث على أنْ يكون نطاق بحثه في القرآن الكريم وأقوال الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وآراء المفسرين التربوية.

خطة البحث: فقد كانت من مطلبين، المطلب الأول عن الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام الجواد (عليه السلام) (التربية الروحية)، والمطلب الثاني عن الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام الجواد (عليه السلام) (التربية الاجتماعية)، متلوين بخاتمة وقائمة بالمصادر، وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول

الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام الجواد (عليه السلام) (التربية الروحية).

إن المقصود بالتربية الروحية في المنهج التربوي الإسلامي هو (السير إلى الله يعني الانتقال من نفس غير مزكاة إلى نفس مزكاة، ومن عقل غير شرعي إلى عقل شرعي ومن قلب كافر أو منافق أو فاسق أو مريض أو قاس إلى قلب مطمئن سليم، ومن روح شاردة عن باب الله غير متذكرة لعبوديتها وغير متحققة بهذه العبودية إلى روح عارفة بالله قائمة بحقوق العبودية له، ومن جسد غير منضبط بضوابط الشرع إلى جسم منضبط انضباطاً كاملاً بشريعة الله عز وجل)[٥]، ومعنى هذا هو انتشال النفس من الحضيض والخسران والسير بها الى مدارج الصلاح، والارتقاء بجانبها الروحي من ذات أقل كمالاً إلى ذات أكثر كمالاً في ثباتها على طريق الخلاص باتباع نهج الإسلام التربوي المتمثل في رافديه القرآن الكريم ومعانيه وسُنة المعصوم (عليه السلام) قولاً وفعلاً وحالاً.

وفي هذا المطلب سيكون لنا وقفات مع الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) وتربية النفس البشرية وضبط شهواتها للوصول بسيرها الى الارتقاء والكمال، وعلى النحو الآتي:

أولاً: تربية الفرد بتغليب الدين على الشهوة في الفكر التربوي عند الإمام الجواد (عليه السلام) وأثرها القرآني.

إن صراع الشهوة والعقل من ابجديات الوجود في هذه الدنيا، وان إرسال الأنبياء والمرسلين وانزال الكتب السماوية ما كانت غايتها إلا دعوة الإنسان لتوحيد الله -سبحانه- وتهذيب النفس وتحصينها من هواها واتباع الشيطان وتأكيداً على التزام إرشادات السماء ليتحقق بذلك الفلاح في الدارين، إذ أنّ الشهوة تمثل رغبات النفس واتباع الشيطان، والعقل يمثل الفطرة السليمة الكامنة في الدين القيم على فكر وسلوك الإنسان، فاتباع هوى النفس معناه الهلاك والسقوط والضلال، والقرآن الكريم حافلة آياته في ذم من يتبع هواه، كما في قوله تعالى: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[٦]، وقوله تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى}[٧]، أي من اتبع هداي يعني الرسل والكتب، فلا يضل ولا يشقى، وهذا ضمان من الله -تعالى- لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة[٨].

وهنا نطالع قول عِدل القرآن المجيد الذي وضح هذه المعاني التربوية الارشادية القرآنية العظيمة ونتلمسها في قول الإمام محمد الجواد (عليه السلام) إذ قال: (لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)[٩].

فالإمام الجواد (عليه السلام) في مقولته الشريفة يُعبر عن المفهوم القرآني التربوي الجامع لمحاسن الهدى القيم وما يكون من التحصين من خلالها وبين مساوئ الأخلاق الكامن في اتباع الهوى والشهوات، وللوقوف أكثر على ما اختزلته المقولة الشريفة لإمامنا الجواد (عليه السلام) من معاني سامية لمعارف قرآنية تربوية لا بد من القول ان من اساسيات الوجود في الحياة هو النزاع ما بين الخير والشر نوازع النفس، وبهما كان سر الاختبار الإلهي للإنسان، فهما مما جعلهما الله سبحانه في الإنسان حين ابتدع خلقه، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[١٠]، فالنفس هنا هي (القوة المدبرة للإنسان، والتي عن طريقها يدرك الأمور إدراكاً واضحاً. ويختار منها ما يناسب استعداده)[١١].

ونلحظ إن الدين هو الأصل النقي في فطرة الإنسان وكل ما خالفه فهو أمر عارض لا جوهر في نفس الإنسان، وإن وظيفة الأنبياء (عليهم السلام) إعادة الناس الى الفطرة السليمة ومخالفة العارض من هوى النفس وشهوتها، يقول المفسر ناصر مكارم الشيرازي: (إن الدين له وجود نقي خالص من كل شائبة داخل نفس الإنسان، أما الانحرافات فأمر عارض، ووظيفة الأنبياء إذن إزالة هذه الأمور العارضة، وفسح المجال لفطرة الإنسان في الإشراق)[١٢].

وبعد ان اكتملت لدينا الصورة في أصل وجود الإنسان وغاية خلقه التي مؤداها اتباع الدين القيم نستطيع الآن ان نلحظ هذا الأثر القرآني الكبير في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) حين لخص لنا موجبات كمال الإيمان وتهذيب السلوك وتزكية النفس وكذلك شخّص سبب الهلاك في اتباع الهوى والشهوة في قوله (عليه السلام): (لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)[١٣].

فالإمام الجواد (عليه السلام) يؤكد على وجود المعادلة الكونية الكبرى في البشرية، وان النتائج تتبع المقدمات، فأتباع الشهوة وتغليبها على خير الدين هو الضلال والضياع، إذ تهوي الشهوة بصاحبها؛ أي: تُسقطه في اتباع الشهوات؛ ومِنْ ثَمَّ تهوي به في الإثم والمعصية والزيغ عن الدين ونوره ليستحق بذلك الانحراف العقوبة العاجلة والآجلة، فالشهوة داعية للذة الحاضرة من غير فكر في العاقبة، وداعية لنيل الشهوات عاجلاً، ومكمن للحسرات العاجلة والآجلة، فلا يصفو العيش والنفس في مرتع الضلال، وان اتباع منهج الدين وسبيل المؤمنين الحق هو الفلاح والرشاد وراحة النفس في الدارين.

ثانياً: أهمية تزكية النفس في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام).

ان أهمية تزكية النفس من الشهوات واتباع الدين على وفق الأثر القرآني الذي نستقرئه في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) التربوي يمكن رصده في عدة وجوه هي:

١. إن الله عز وجل أقسم في القرآن الكريم أحد عشر قسماً على فلاح من زكّى نفسه واتبع الدين القيم وعلى خسران من أهمل ذلك واتبع الهوى والشهوات، وما هذا التحشيد في الآيات القرآنية إلا لتنبيه المتلقي على عظم الموضوع في حياة الإنسان، وان الحياة الحقيقية التي أرادها الله سبحانه له لا تكون إلا بتزكية النفس وبالنفس الزكية تكون الحياة المرجوة وخلاف ذلك فذاك موت في حياة، وهذا المعنى التربوي القرآني

نلحظه جلياً في قول الإمام محمد الجواد (عليه السلام) إذ قال: (موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر)[١٤]، فالنفس الملطخة بالذنوب الآثمة بالخطايا مع الإصرار هي نفس في واقعها ميته، وان النفس العامرة بالتزكية والطهارة والعفة هي نفس حية واقعاً وخالدة في الآخرة لما كان منها من تزكية ومجاهدة.

٢. إن في اتباع الإنسان لهواه هزيمة لا تتوقف نتائجها في الآجل وحسب؛ بل تكون نتائجها في العاجلة كذلك، إذ إن الإنسان الذي يقوده هواه سوف يضل الاتجاه الصحيح ويضيع في زخم معطيات الهوى، فيكون حينذاك الغلبة للعدو المترصد له في دار الدنيا، وهذا المعنى التحذيري من الإمام محمد الجواد (عليه السلام) نلحظه في قوله: (من أطاع هواه أعطى عدوه مناه)[١٥]، وفيه إنّ على الإنسان أنْ يهذب نفسه وان يعلم ان هواه الداخلي وعدوه الخارجي لا يختلفان فيما يريدانه منه من الهلاك والهزيمة والضلال، وان الوقاية منهما على صعيد واحد من الأهمية والخطورة، وهذا المعنى التربوي واضح بيانه في القرآن الكريم، قال تعالى: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[١٦]، أي انهم يتبعون عدوهم المبين الشيطان الرجيم ويتبنون أفكاره ويقتفون آثاره وخطواته[١٧]، وان نتيجة هذا الاتباع هو الضلال والتخبط والهلاك وفساد الدنيا والدين، وتولي الأمر أهل الفسوق والعصيان ومن ثم العبث بمقدرات الناس وتفشي المنكرات المصاحبة للعداوات والفوضى والتفرقة.

٣. تزكية النفس تصلح حال الإنسان في ظاهره وباطنه، فيكون الجوهر والمظهر عنوانا واحداً له، وهذا الإصلاح يُجنبه الوقوع في مزالق الغرور والعجب ومرض النفاق، الذي يخالف ظاهره واقع نفسه فيكون ظاهره التقوى والورع وباطنة الانحراف والعجب والغرور، وقد ذمهم القرآن الكريم وحذر منهم ووبخهم لما تكنه سرائرهم، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}[١٨]، أي ان الذين يعملون على مدح أنفسهم طلباً للدنيا ما عملهم هذا من التزكية الحقيقية من شئ، وإن (مصدر هذا العمل هو الإعجاب بالنفس والغرور، والعجب الذي يتجلى شيئاً فشيئاً في صورة امتداح الذات وتزكية النفس، بينما ينتهي في نهاية المطاف إلى التكبر والاستعلاء على الآخرين)[١٩]، وهذا التحذير التربوي يعبر عن أهمية تزكية النفس بصورة خالصة لله سبحانه والصادرة عن نفس غير منتحلة للصلاح من دون الجوهر وهذا الوعظ التحذيري نلحظه في مقولة الإمام محمد الجواد (عليه السلام) إذ قال: (لا تكن ولياً لله في العلانية، عدواً له في السر)[٢٠]، وما عداوة العبد لله سبحانه إلا في ارتكابه للمعاصي وانتهاك حرماته واتباع الشهوات دون أعين الناس، وهو بهذا بعيد عن محبة الله عز وجل بحسب ما يدعي من الولاية والقرب في ظاهره، وعليه تكمن أهمية تزكية النفس فيحرص الإنسان على ان تكون أعماله في ظاهره وسره في التقوى واحدة.

فكان الإمام الجواد (عليه السلام) يُربي اتباعه على خشية الله سبحانه في السر والعلن، إذ ان عين الصلاح ان يكون ظاهر الانسان وباطنه واحداً، فكان (عليه السلام) يعلمهم هذا الدعاء: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وإسرافي على نفسي وما أنت أعلم به مني،..، اللهم إني أسألك خشيتك في السر والعلانية..)[٢١]، وكل ذلك للوصول الى التزكية العظيمة للنفس البشرية.

٥. السعي للكمال، نفهم من فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) القرآني التربوي إن الإنسان بطبيعته مُحب للكمال، وإن (ما يحرك الإنسان ويدفعه في سكناته وتحركاته وكل العناء والجهود المضنية التي يبذلها كل فرد في مجال عمله وتخصصه، إنما هو نابع من حب الكمال)[٢٢]، لذا كان له وازع يدفعه أن يعمل على إكمال نفسه من خلال تزكيتها وتربيتها وتهذيبها، إذ إنّ النفس كالأبدان تصاب بالأمراض، إلا أنّ مرضها اشد فتكاً إذ إنَّ أمراض البدن لا تؤذي إلا البدن دون غيره، أما أمراض النفس فهي تتخطى ذات الإنسان لتظلم من حولها فتهلك نفسها وتضر غيرها، فهي بهذا محتاجة إلى تغذية دائمة ورعاية مستمرة ووقاية قائمة، وهي كذلك محتاجة إلى متابعة للازدياد من الإيمان والخير والمعارف كما يزداد البدن من الطعام والماء والطاقة، وعليه يحتاج الإنسان إلى أن يراقب نفسه فيما تصاب به من أمراض.

وان يعلم الإنسان ان النفس هي الوعاء الذي يضم إيمانه، وان الإيمان – كما يرى الإمام الجواد (عليه السلام) - أهم ما عنده ليعمل على كماله، وربط كل فكر وسلوك الإنسان بالله الخالق العظيم، وأول شيء ينطلق منه قبل الشروع بالعمل أو القول هو النية الخالصة لوجهه عز وجل ليكتمل الإيمان الحقيقي، وهذا الشأن التربوي واضح في قول الإمام الجواد (عليه السلام) إذ قال: (اربع من كن فيه استكمل إيمانه: من أعطى لله، ومنع في الله، وأحب لله، وأبغض فيه)[٢٣]، وبخلاف ذلك إذا تدنى مستوى الإيمان وغلبت الشهوة عمت الفوضى الحياة، فتأكيد الإمام الجواد (عليه السلام) في مقولاته التربوية يؤكد على إيمان الإنسان وتركيزه على تنمية هذا الإيمان وتقويته عن طريق تزكية هذه النفس وتهذيبها وضبط شهوتها وربطها بالله -سبحانه- مصدر الخير وهو الحكيم الخبير.

ثالثاً: وسائل تربية النفس في فكر الإمام الجواد (عليه السلام) والأثر القرآني فيها.

المتتبع لفكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) التربوي يلحظ أنّ هناك جملة من الوسائل التي يتوصل بها الإنسان الفرد الى تزكية النفس وصيانتها من اتباع الشهوات والهوى، وفي هذه الوسائل نجد أنّ الأثر القرآني واضح فيها، والتي منها:

١. الإيمان بالله سبحانه والثقة به؛ أنّ الثقة به سبحانه سبيل للصلاح ومنهج الفلاح في تغيير الأحوال لما فيه خير الفرد، فقال الإمام الجواد (عليه السلام): (الثقة بالله تعالى ثمن لكل غال، وسلم إلى كل عال)[٢٤]، وهذا الحث على التوكل على الله سبحانه مما يربي به القرآن الكريم المسلم، قال تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}[٢٥]، فالتوكل على الله عز وجل والثقة به (دلالة الإيمان ومقتضاه، وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي فإذا هي أقوى وأثبت)[٢٦].

٢. استشعار مراقبة الله عز وجل؛ ان التربية القرآنية صريحة في هذا المعنى قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}[٢٧]، أي (أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء)[٢٨]، وحقيقة ان المتأمل في هذه الآية الكريمة بما تحمله من بُعد تربوي تحذيري يلحظ انها تهز الوجدان الإنساني، وتثير في النفس ما لا تثيره أجهزة الحكومات الأمنية في الدنيا، ولا أحدث التقنيات في عالم المخابرات، فهذه الآية على عدد حروفها المعدودة لها فاعليتها في ضبط نوازع النفس وشهواتها، وتكبح جماحها، وتدعو الإنسان إلى الإحسان في العمل، ولصريح المراقبة الإلهية.

والأمر لا يقف عند الأمور الظاهرية من سلوك الإنسان، إذ ان التربية القرآنية تشير الى ما هو أعمق من ذلك في تهذيب الإنسان بأن يعلم أنّ

الله سبحانه مطلع حتى على خلجات نفسه، قال تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}[٢٩]، وذلك ان القرآن المجيد ينزل تثبيتاً وتدعيماً لهذه التربية ويؤكد بان الله -عز وجل- يصل علمه الى كل خفي.

وهذا البُعد التربوي نطالعه عند الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في توجيه تربوي يدعو الى تأكيد هذه المراقبة الإلهية فيقول (عليه السلام): (وأرفض الشهوات، وخالف الهوى واعلم انّك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون)[٣٠]، فمن المضامين التربوية في حديث الإمام نلحظ فيه إشارة إلى وجوب مراقبة الإنسان نفسه بعد ان علم ان هناك مراقبة إلهية، إذ فيه تهديد لمن يتمادى في طرق الغي، وفيه تلويح إلى وجوب الابتعاد عن الشر، وكذلك نخلص من الأثر القرآني التربوي عند الإمام الجواد (عليه السلام) ان هناك تعريض بغباوة من يجهل هذه الحقيقة أو يتغافل عمداً عنها أو يكابر في شأنها.

٣. ان يعمل الإنسان على ان يطهر نفسه من الصفات الرذيلة والتحلي بالأخلاق الحميدة، ورأس ذلك كله يكمن في التقوى الجامعة لكل الفضائل، ففيها النجاة من الهلكة والبصيرة عن العمى، قال الإمام الجواد (عليه السلام): (إن الله عز وجل يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه عقله ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهله)[٣١]، وهذا الأثر القرآني واضح في هذا السبيل وفي آيات عديدة ذكرت التقوى وشجعت على التزامها؛ بل والتعاون على تحقيقها، منها في قوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ}[٣٢]، ومعلوم ان (التقوى تصفية النفس وتطهيرها وإبعادها عن كل ما نهى الله عنه)[٣٣].

٤. أن يكون الإنسان ملتزماً بالعقل الداعي الى العلم، ولا يمكن أنّ ينفك الإنسان عن العلم في كل حركاته وسكناته، وان العامل من غير علم بالأمور كان اقرب الى الانزلاق والفساد، ولا ينفع حين ذاك سعيه وجده ان لم يكن العلم سائساً له، وهذا المعنى نلحظه في قول الإمام الجواد (عليه السلام): (من عمل على غير علم كان ما يُفسِد أكثَرَ مما يُصلح)[٣٤]، كما ذم القرآن الكريم من يعمل من غير علم فيما يفعل، فإن جد سعيه لا يزيده إلا ضلال وخسران، قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}[٣٥]، نعم؛ فخلاصة (المعنى بأن أخسر الناس صفقة، وأخيبهم سعياً هو الجاهل المركب الذي يرى جهله علماً، وشره خيراً، ..، وإنما تقاس قيمة الإنسان بقيم القرآن ومبادئه، والالتزام بتعاليمه وأحكامه)[٣٦].

٥. ان لا ينسى الإنسان ذكر الموت وما فيه من المآلات، فذكر الموت سبيل ناجح لكبح هوى النفس واستهتارها، ومما يردعها عن الغواية والشهوات، وخير معين على التزام التقوى وخشية المعاد، فعن الإمام محمد الجواد (ع) قيل لأمير المؤمنين (ع) صف لنا الموت فقال: (على الخبير سقطتم .. هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه إما بشارة بنعيم الأبد وإما بشارة بعذاب الأبد وإما تحزين و تهويل و أمره مبهم لا تدري من أي الفرق هو)[٣٧]، والمضمون ان كل إنسان يحيي حياة محدودة مؤجلة ويكون فيها الامتحان بالشر والخير ثم إلى الله سبحانه المعاد فيقضي بالحكم العدل عليكم ولكم، وهذا الأسلوب التربوي في الترغيب والترهيب ما نلحظه في القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة، منها في قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[٣٨].

وفـي تقريب معنـى الآية يقـول العلامة محمد حسـين الطباطبائي: (وفيه إشـارة إلى علة تحتم الموت لكل نفس حية، وهي أن حياة كل نفس حياة امتحانيـة، ابتلائية ومن المعلوم أن الامتحان أمر مقدمي ومن الضروري أن المقدمة لا تكون خالدة لا تنتهـي إلى أمد ومن الضـروري أن وراء كل مقدمة ذا مقدمة وبعد كل امتحان موقف تتعين فيه نتيجتـه فلكل نفس حية موت محتوم ثم لها رجوع إلى الله سبحانه لفصل القضاء)[٣٩].

٦. الاسـتماع والتدبر في القـرآن الكريم والى كل مـا يـؤدي الى خيـر الدنيا والآخـرة، وهذه وسيلة جداً مهمة ولها آثار طيبة على حياة الفرد، فهي تُصلح حال الإنسان وكذلك هي عامل وقاية عن الانحـراف والضلال في مسـتقبله، فالقرآن منهج لحياة كريمة وسـبب للفوز في الآخرة، كما ان الاسـتماع الى خلاف ذلك من أصدقاء السوء ومجالس اللهو والطرب وكل ما يؤدي الى الغفلة هو سـبب للخسـران في الدارين آجلاً أم عاجلاً، والـى هذه المعاني من الوسـائل التربوية أشـار الإمـام محمد الجـواد (عليه السـلام) في كلمته المكتنـزة للحكمـة البليغـة في إيصـال المعرفة لمـن تدبـر كلماتها، إذ قال (عليه السـلام): (من أصغى إلى ناطـق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس)[٤٠]، وهنا لا بد من التحرز الى مصدر الكلام والأفـكار، والتحقق منه ومن ثـم تطبيق الـكلام النافع والأفـكار الصالحة في حياتنا اليومية وتوجهنا النفسـي والتربوي، والى هذا المنهج التربوي ارشـدنا القرآن الكريم، قال تعالى: {فَبَشِّـرْ عِبـادِي الَّذِيـنَ يَسْـتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَـنَهُ}[٤١]، فنلحـظ ان القرآن الكريم يبشـر (أولئك الذين لا يستمعون لقول هذا وذاك مـا لم يعرفوا خصائص وميزات المتكلم، والذين ينتخبـون أفضـل الـكلام مـن خلال قـوة العقل والإدراك، إذ لا تعصب ولا لجاجة في أعمالهم، ولا تحديـد وجمـود في فكرهـم وتفكيرهم، إنهم يبحثـون عن الحقيقة وهم متعطشـون لها، فأينما وجدوها اسـتقبلوها بصدور رحبة، ليشربوا من نبعها الصافي من دون أي حتى يرتووا)[٤٢].

٧. اتبـاع منهـج أهل البيـت (عليهم السـلام) وتقفـي آثارهـم الكريمـة وسـنتهم المعصومـة، ففـي ذلك الرشـاد والصلاح والابتعـاد عن الغي والضـلال، وان المخالفـة لنهجهـم والاخـذ عن غيرهم سبب لتضارب الأمور وضياع القصد في التزام الصراط المسـتقيم الذي أمر به الله سبحانه فـي اتباع كل ما أمرنا به الرسـول الخاتم (صلى الله عليـه وآله) كما فـي أمره تعالى: {وَمـا آتاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُذُوهُ}[٤٣]، ويؤكد هذا المعنى المفسر ابن عاشـور إذ قـال: (وهذه الآيـة جامعة للأمر باتباع مـا يصدر عن النبي (صلى الله عليه وآله) مـن قـول وفعل فينـدرج فيها جميع أدلة السـنة)[٤٤]، والنبـي الخاتم (صلى الله عليه وآله) أمر في وصيته على اتباع العتـرة الطاهرة، فقال (ص): (إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله -عـز- وجل وعترتـي أهل بيتـي، وأنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)[٤٥].

وأهـل بيـت النبـوة (عليهم السـلام) هم معدن الإسـلام وينبـوع الرشـد ومنهج حيـاة، وأصل الاحـكام، وان اتبـاع غيـر منهجهم الشـريف لا يوصـل الـى مـا أراده الله سـبحانه واكـده النبي الكريم، وهذا المعنى نلحظه في قول الإمام محمد الجواد (عليه السلام) إذ قال: (كل ما لم يخرج من هذا لبيت فهو باطل)[٤٦]، وان الإمام الجواد (عليه السلام) من أهل البيت (عليهم السلام) المفترضين الطاعـة المعصومين في أقوالهم وأفعالهم والأخذ عنه يصل بنا الى الهُدى والرشاد، وصلاح النفس لارتباطهم بالله سـبحانه، قال الإمام الجواد (عليه السـلام): (إنا أهل بيت من علـم الله علمنا، ومن حكمـه أخذنـا، ومن قـول الصادق سـمعنا، فإن تتبعونا تهتدوا)[٤٧]، وهذا بيان لا يتجرأ أحد مهما

بلـغ من العلم والمعرفة ان يقول به، إلا من كان راسـخاً في العلـم متثبتاً من معتقـده وارتباطه بالسـماء ومنهج القرآن الكريم، وعليه ان التزام هـدي الإمـام الجـواد (عليـه السـلام) ونهجه التربوي هو التـزام بهدي القرآن الكريم والنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله).

٨. التـزام الفرائض العباديـة، معلوم ان أداء الفرائض العبادية له أثره البالغ في حياة الإنسان بما يعكسـه على شؤون حياته النفسية والعملية، وتصـل به الى خُلق الابرار المتحلين بالصفات الحميدة والمكارم العاليـة في أقوالهم وافعالهم، ومن ثمار إقامة الفرائض العبادية على الإنسان هو اجتناب ما حرم الله سـبحانه وتمتعه باليقظة في نفسـه لأنه يعيش بحيوية ناتجة عن اتصاله اليومـي بالله تعالى من خلال مـا افترض عليه -سبحانه- من الفرائض اليومية.

وهذا الاتصال وسـيلة مهمة إذ يقوى الإيمان ويضعف الشـهوة عن ارتكاب مـا حرم الدين، وهذا الارشـاد التربوي واضـح في فكر الإمام الجـواد (عليه السـلام) في قولـه: (وثلاث من عمل الأبرار إقامة الفرائض واجتناب المحارم واحتراس من الغفلة في الدين)[٤٨]؛ نعم، فللعبادة الحقة وسيلة ذات شـأن كبير في وقاية الإنسان مـن هـوى النفس وتصـده عن اتبـاع خطوات الشيطان لما تمثله من (شعور مكتمل العناصر، يبـدأ بالمعرفة العقلية، ثـم بالانفعال الوجداني، ثـم بالنزوع السـلوكي الذي هـو الغاية الكبرى التي من اجلها كانت الفرائض العبادية وجوهر التشريع العبادي)[٤٩] .

والمتأمل في فكـر الإمام محمد الجواد (عليه السـلام) يلحـظ فيه انـه قائم على مبـدأ التخلي والتحلي[٥٠]، التخلي عن رذائل الأخلاق وتصفية النفس من الأهواء والشهوة المنحرفة، والتحلي بالصفـات الحميـدة ومكارم الأخـلاق، وكذلك على ضبط النفـس وتوظيف نوازع الخلقة فيها على وفق الإرادة الإلهية وما انتهجته للإنسـان في مسيره في هذه الدنيا.

إن نوازع الخير والشـر -كما تقدم- في مطلع هـذا المطلب مـن السـنن الإلهيـة الكبرى في الإنسـان، وهي محل الاختبار له في ما يوظفه في أعماله وشؤونه كافة، فالتحلي بالفضائل بعد التخلي عن الرذائل يمكن الإنسـان من السيطرة على النفس وشـهواتها وضبـط حدودها، وهذا المعنـى التربوي الارشـادي نلتمسـه جلياً في قول الإمام محمد الجواد (عليه السلام)، إذ قال: (الفضائل أربعة أجناس أحدها الحكمة وقوامها في الفكرة، والثاني العفة وقوامها في الشـهوة، والثالـث القـوة وقوامها في الغضـب، والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس)[٥١].

فهـذه الفضائـل الأربعة التـي يذكرها الإمام (عليه السـلام) هي وظائف تمكن الإنسـان من ضبط جمـاح النفس، فالتحلـي بالحكمة بكل ما تحتـوي من معانـي سـامية نلحـظ فائدتها في صياغة الفكرة والمنهج الذي يتخذه الإنسان في حياتـه، وان تزكية النفس بالعفـة -وهي جانب مهم في تربية الإنسـان- تضبط شـهوات النفس وانحرافاتهـا، وقوة الإرادة وسـيطرة الإنسـان على جوارحه وجوانحه عامل مهم في خمد نار الغضـب والخـروج عن جادة الصـواب الناتج عن دخـول الغاضب في الباطـل بعد ان يعمي غضبه نور العقـل، والتوظيف الرابع للفضائل التي يتحلى بها الإنسان عند الإمام محمد الجواد (عليه السـلام) فيكمن في تربية الإنسـان على الوسـطية من حيث لا افـراط ولا تفريط، وهذا يعني ان لا كبت لنوازع النفس الشهوانية بالتمام وانمـا بمـا فتح لها الشـارع المقدس مـن منافذ الحلال والمباح.

المطلب الثاني
الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام الجواد (عليه السلام) (التربية الاجتماعية).

تقدم الكلام في المطلب الأول عن تربية الإنسان في بُعده الروحي، وفي هذا المطلب سيكون لنا وقفات تربوية مع البُعد الآخر والمكمل لذات الإنسان، وهو البُعد الاجتماعي الذي لا يقل أهمية في حياة الإنسان عن البُعد الروحي، إذ من المعلوم إن (الإنسان اجتماعي بطبعه ... وهذا يعني أن الإنسان فطر على العيش مع الجماعة والتعامل مع الآخرين فهو لا يقدر على العيش وحيداً بمعزل عنهم .. مهما توفرت له سبل الراحة والرفاهية)[٥٢].

ويؤكد هذا المعنى المفسر الرازي فخر الدين (ت:٦٠٤هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: {فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ}[٥٣] إذ قال: (واعلم أن الإنسان خلق مدنياً بالطبع، لأن الإنسان الواحد لا تنتظم مصالحه إلا عند وجود مدينة تامة، حتى أن هذا يحرث وذلك يطحن وذلك يخبز وذلك ينسج وهذا يخيط، وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولاً بمهم، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع. فثبت أن الإنسان مدني بالطبع)[٥٤].

وهذا البُعد الاجتماعي للإنسان لما في طبيعته المدنية الاحتكاك والتعايش والتواصل كان لابد من وجود منهج تربوي يضبط هذا الاحتكاك وينظم التعايش بين أبناء البشر، لحاجة الناس بهذه الطبيعة بعضهم لبعض، وهذا المنهج التربوي يكون هو الحاكم على سلوكهم اليومي، والمرجع عند وقوع الخصومة والمشاكل الاجتماعية إذ ان الناس (عند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات)[٥٥].

وكما تقدم ان لا منهج تربوي ينظم حياة الإنسان وعلاقاته الاجتماعية كالمنهج التربوي الإسلامي النابع من لدن الخالق الخبير، قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[٥٦]، فالخالق يعلم ما ينفع خلقه لأنه خالقهم وهو بهذا العالم بهم وباحتياجهم وما يصلحهم[٥٧].

وتأسيساً على ما تقدم يمكن بيان الأثر التربوي القرآني للجانب الاجتماعي في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في هذا المطلب في نقاط عدة يمكن اجمالها في:

أولاً: تربية المجتمع على خُلق المحبة والأخوة.

من أهم السُبل التربوية لدفع المجتمع على اكتساب مكارم الأخلاق وسلوك الأعمال الصالحة في التعامل مع الآخرين من أفراد المجتمع يكون من خلال ترغيبهم على خُلق المحبة والأخوة، وأسلوب الترغيب له هو كل ما يُشوّق إلى الاستجابة وقَبول الحق والثبات عليه[٥٨]، فهو وعد يصحبه إغراء بمتعة آجلة مؤكَّدة مقابل القيام بعمل صالح ابتغاء مرضاة الله سبحانه[٥٩].

وعليه كان الترغيب الى رابطة الحب في الله سبحانه، وهو محبة المسلم لأخيه المسلم وللناس تحت عنوان الطاعة لله سبحانه، لا لأجل المال أو النسب أو الوطن أو القومية وغيرها، فواجب المسلم مع مجتمعه ان يقوي هذه الرابطة العظيمة، ويذكر لنا الإمام محمد الجواد (عليه السلام) ثلاثة خصال تربوية يمكن من خلالها البقاء على المحبة ان كانت هي معيار للتربية الاجتماعية، قال الإمام (عليه السلام): (ثلاث خصال تجلب فيهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة والانطواء، والرجوع إلى قلب سليم)[٦٠]، وهذه الخصال الثلاثة هي وسائل جلب للمحبة والاخوة في المجتمع وان كل واحدة منها تحتاج الى تفصيل لما تكتنزه من بُعدٍ تربوي يُعزز المحبة في المجتمع الإسلامي، ولكن يحاول الباحث اخذ غرفة من هذا المنهل العذب بما يسمح به البحث.

الوسيلة الأولى: وسيلة الإنصاف في المعاشرة: إن أول ما نلحظه في الحديث الآنف في قول الإمام (عليه السلام) هو استعمال لفظ الانصاف دون غيره من الالفاظ؛ إذ قال الإمام محمد الجواد (عليه السلام): (الإنصاف في المُعاشرة)، وان لم يرد في القرآن الكريم لفظ الانصاف صراحة إلا أنّ معانيه واردة فيه، ويبدو للباحث إن مفهوم الانصاف في بُعده الخُلقي يُراد به إعطاء الناس ما يستحقونه كاملاً، بلا غمط ولا تحيز ولا محاباة، وصور هذا الفعل الخُلقي قد تكون بالأقوال، وقد تكون بالأفعال، أو بهما معاً في آن واحد، والمتأمل في مفهوم الانصاف بهذا المعنى يلحظ انه يتشابه مع مفهوم العدل؛ بل يكاد ان يتطابق معه، وهذا المُراد نجده في قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في بيان قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[٦١]، إذ قال: (العدل الانصاف، والاحسان التفضل)[٦٢]، ولذلك قال بعض العلماء: العدل والإنصاف توأمان[٦٣].

والإنصاف يكون أخص من العدل، من حيث يكون إعماله في مواطن خاصة تكون عادة مَظِنَّةً للزيغ والتحيز، وهنا يوصف الفعل أو القول بالإنصاف، إذا وقع في موطن كان يُخشى أو يفترض عدمه، كأن يؤثر الإنسان الحق لغيره على حساب نفسه، أو ينصف المخالف على الصديق، أو البعيد على القريب، بينما مفهوم العدل يكون في هذه الأحوال وفي غيرها، ولعل هذا المعنى هو ما عناه الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ) بقوله: (والإنصاف من العدل)[٦٤].

وهناك ثمار كثيرة لخُلق الإنصاف في المجتمع إذا التزم به الأفراد وصار منهجهم التربوي في حياتهم اليومية وتعاملهم مع بعضهم، فمن ثماره نقتصر القول على ثمرة نيل محبة الله تعالى، التي هي أعظم العطايا، وأحب المطالب للمسلم، إذ قال تعالى: {وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[٦٥]، والقسط من معاني الإنصاف، قال المفسر الرازي (ت:٦٠٤هـ): (والقسط العدل والنصفة)[٦٦].

وفي الآية تصريح واضح على محبة الله سبحانه للمنصفين، وما هذا إلا لشرف منزلتهم، وفضيلة أفعالهم وأقوالهم مع الناس، وأي رفعة أعلى في الوجود من ان ينال العبد المحبة الإلهية التي تتضمن الرضا، إذ (إن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدًا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد)[٦٧]، وهنا نلحظ ان الإمام محمد الجواد (عليه السلام) أشار الى خصلة لها بُعدها التربوي القرآني الكبير في تربية المجتمع على المحبة والإخوة، فهي جامعة لشمائل أخلاقية متنوعة يحتاجها المجتمع في كل زمان ومكان.

الوسيلة الثانية: (المواساة في الشدة والانطواع)، وهذه ثاني وسيلة يذكرها الإمام الجواد (عليه السلام) في تربية المجتمع، وقد عرّف ابن مسكويه (ت:٤٢١هـ) المواساة فقال: (وأما المواساة فهي معاونة الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقوات)[٦٨]، وهذا الخُلق وسيلة عظيمة من وسائل المحبة بين الناس، فهي ابرز ما يحتاجه المجتمع حين تصيبه نوائب الدهر وبلاياه، فيكون بحاجة ماسة لمن يخفف عنه المعاناة ويزيل هول المحنة عنه، إذ تطلق المواساة في كثير من الأحيان ويراد بها الإعانة المادية فقط؛ من إعانة بالمال والمعاش، وقد تُطلق

ويُـراد بها الجانب المعنـوي فقط، فتكون بمعنى التعزية والتسلية والتصبير.

وإنّ مـن مفاخر التربية الإسـلامية أن تعاليمها مبنيـة على الرحمـة والرأفة، وتشـريعاتها تقوم على المواسـاة، وجبر الخاطـر، وتفريج الكُرَب، وإينـاس الوحشـة، وعـزاء المصـاب وتهويـن الفاجعـة، وهـذا لا يخفـى علـى المتأمـل إلى ما جـاءت به تعاليم الإسـلام من الأحكام الشـرعية كالعبـادات والمعامـلات والآداب، فالناظـر الى كل ذلـك يلحظـه مبنيٌ علـى خُلق المواسـاة بين أفراد المجتمع المسـلم؛ ففريضة الخمس والزكاة والصدقـة والإنفاق والتبـرع لا يخفى ما فيها من مواسـاة، كذلـك نلحظ هذا الخُلق كوسـيلة في بر الوالديـن وصلة الأرحام وإيتـاء ذي القربى حقه والإحسـان إلـى الجـار وإكرام الضيـف وعيادة المريـض ... كل هذه الأخلاق من المواسـاة؛ بل ان صلاة الجماعة والصيام والحج فيها من معاني المواسـاة والشـعور بمشـاعر الآخرين الشـيء الكثير، فتعاليم الإسـلام كلُّهـا تحث المجتمع على المواسـاة والتعاون، فلم يكـن توجيه الإمام محمد الجواد (عليه السـلام) لهذا الخُلق إلا عن بصيرة لما يكتنفه مـن زرع المحبة في صدور المؤمنين وقلع شوائب الحقد والبغضاء منها في ذات الوقت ليكون حين ذاك مجتمعاً مسلماً متراحماً.

والمتتبـع للآيـات القرآن الكريـم يجد ان هناك إصراراً كبيراً على التزام خُلق المواساة فتوصي آياتـه التربوية بالبر والإحسـان إلى ذوي القربى والضعفـاء والمسـاكين وابن السـبيل واليتامى، وذلـك في القرآن كله، في آياتـه المكيه والمدنيه، ومـا ذاك إلا لأهمية هذا الخُلق في واقع المجتمع، ومنه ما نلحظـه في قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَـيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَالْجَـارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}[٦٩]، والمتأمل في هذه الآية الكريمة يلحظ ان فيها إشـارات تربوية مهمة في خُلق المواساة، إلا انها قبل ان تباشر ببيان التشريع وذكر مواطنه تأسـس لأمر مهم هو ان لا مناص من ارتباط كل الأعمال بالعقيدة الخالصة والقلب السـليم وهذا ما سـوف نقف عنده في الوسـيلة الثالثة التي ذكرها الإمام الجواد(عليه السـلام) بعد ان نقف هنا على مواطن المواساة في هذه الآية الكريمة والتي هي:

أ. (وَبِالْوَالِدَيْـنِ إِحْسَـانًا): إذ تشـير إلـى حـق الوالديـن وتوصي بالإحسـان إليهما ولا شـك أنّ حـق الوالدين مـن القضايا التي يهتـم بها القرآن الكريـم كثيـراً، وقلّما حظي موضـوع بمثل هذا الاهتمام والعناية، فقد جـاءت التوصية بالوالدين بعـد الدعوة إلـى التوحيد فـي العبادة فـي أربعة مواضع في القرآن الكريم[٧٠].

والإمـام محمد الجـواد (عليه السـلام) يعطينا درسـاً رائعاً في خُلق التعامـل مع الوالدين، حتى وإن كانـا منحرفيـن، وإن الخطـأ بحقهما في أي حـال من الأحوال لا يبرر التنكّـر لهما والتجاوز علـى حرمتهمـا ومكانتهما التي أوصـى بها الله تعالـى كما تقدم، فقد جاء الى الإمام الجواد (عليه السـلام) ذات مرة أحد الاشـخاص يسأله قائلاً إن أبـي ناصبـيّ خبيث الـرأي، وقد لقيت منه شـدّة وجهداً، فرأيك ـ جعلت فداك ـ في الدعاء لي، وما ترى؟ أفترى أن أكاشفه أم أُداريه؟

فكتـب (عليه السـلام): (قد فهمـت كتابك وما ذكرت مـن أمر أبيك، ولسـت أدع الدّعاء لك إن شـاء الله، والمداراة خير لك من المكاشـفة، ومع العسـر يسـر، فاصبـر إن العاقبة للمتقيـن، ثبتك الله علـى ولاية من تولّيت، نحـن وأنتم في وديعة الله الـذي لا يضيع ودائعه). يقول ذلك الشـخص: فعطـف الله بقلـب أبيـه حتى صـار لا يخالفه في شيء[٧١].

إذن لم يكن هـذا التوافق التربوي بين القرآن الكريـم والإمـام الجواد (عليه السـلام) محض صدفة في التأكيد على بر الوالدين! إذ إن وسيلة البر بهمـا هي مفتاح لكل أنواع البر مع الناس، فالمتيقـن ان الإنسـان عندمـا يُربّـى على البر والمودة في بيته ومع اسـرته تتطبع نفسـه على عمـل الخير مـع الآخرين وهذه الطبيعة سـبب لأشاعة المحبة في المجتمع.

ب. (وَبِذِي الْقُرْبَى): ثم الآية توصي بالإحسان إلى كل الأقرباء، وهذا الموضوع من المسـائل التـي يهتم بها القرآن الكريـم اهتماماً بالغاً تارة تحت عنوان « صلـة الرحم « وأخرى بعنوان « الإحسان إلى القربى « وقد أراد الإسلام بهذا الخُلق أن يقوي من أواصر العلاقة الواسعة بين جميـع أفراد المجتمـع ليسـتطيعوا ان يتعاونوا على المواسـاة في ما بينهم عنـد ظهور المحن والمشـاكل والحوادث، ومن المواسـاة التعاون في الدفاع عن حقوقهم.

والإمـام الجـواد (عليـه السـلام) فـي فكره التربوي المسـتوحى من التربيـة القرآنية يؤكد علـى وسـيلة صلة الرحـم ورعايتها لمـا لهذه الرعايـة من أثر كبير علـى التواد والمحبة بين أفـراد المجتمـع، فيقـول (عليه السـلام): (من هجـر المداراة قاربـه المكـروه)[٧٢]، فمنطوق كلام الإمـام (عليـه السـلام) ان تـرك مراعاة الناس في التعامل باب شـر يفتحه صاحبه على نفسه، ومفهومه ان طيب التعامل مع الناس يفتح لصاحبه باب الرحمة والمحبة على نفسه وعلى المجتمع بنشر هذا الخُلق النبيل، فإذا كان الإمام (عليه السـلام) يُربي بكلامه على خُلق المداراة مـع عامـة الناس فمـن الأكيد من بـاب الأولى التزام هذا الخُلق كوسـيلة مهمة في التعامل مع الأقرباء فهم الأولى بالمعروف.

ج. (وَالْيَتَامَـى): ثـم أشـارت الآيـة الكريمة إلى مواسـاة اليتامى وأوصـت المؤمنين ببرهم والإحسان إليهم، إذ لا يخلو مجتمع من أطفال أيتام على أثر الحوادث المختلفة التي تصيب آباءهم، ومواسـاتهم لا يعني عدم نسيانهم وإهمالهم من الناحيـة المادية فقط؛ بل مواسـاتهم في الوضع الاجتماعي بصورة عامة، لأن الأطفال اليتامى لو تركوا دون اهتمام تربوي أو حماية ولم ينالوا حاجتهم من العاطفة والمحبة واللطف يتحولون مع مرور الزمن إلى أفراد منفلتين فاسـدين، بل أشـخاص خطرون جناة يهـددون أمن المجتمع ومن ثـم دمار بنيته الأخلاقية، وعلى هذا يكون الإحسـان إلى اليتامى إحسـاناً إلـى الفرد وإلى المجتمع معاً.

والإمـام الجـواد (عليـه السـلام) فـي فكره التربـوي القرآنـي يُـؤدب النـاس علـى بنـاء الشـخصية السـوية فـي ان لا يلقـون الآخرين بما يسـبب لهم الازعاج، فيقول (عليه السلام): (حسـب المـرء من كمـال المـروة ان لا يلقى أحداً بما يكـره)[٧٣]، وبطبيعة الحـال ان تربية الإمـام (عليـه السـلام) الناس بهـذا الخُلق هي تربية عامة شـاملة لكل فئـات المجتمع والأيتام أولى بهذا التعامل والرعاية في تجنيبهم السـيء من السـلوك والقول من الآخريـن ليكونوا بهذه الوسيلة الطيبة مصد وقاية عن انحرافهم وكذلك سـبب لأشـاعة المحبة فيما بينهم وبين المجتمع المتسالم معهم.

وكما ختمـت الآية الكريمة بعـد ذكر الفئات المحتاجة للمواسـاة بالتهديد والتحذير لمن يمنع هذا الخُلق في نفسه أو في سيره في المجتمع من باب التربية بالترهيب على التزام خُلق المواساة كذلك نلحظ ان الإمام محمد الجواد (عليه السلام) قـد حـذّر ونبّـه الذين يقـدرون على المواسـاة

ويمنعونهـا عن الناس، فقال (عليه السـلام): (ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه مؤونة النـاس، فمن لـم يحتمل تلك المؤونـة فقد عرض النعمـة للزوال)[٧٤]، والكلام واضح ان النعم التي عند الإنسان هي من فضل الله سبحانه على العبد، وكلمـا زاد الفضل عليه زاد قبالـه احتياج الناس إليه في المواسـاة لهـم، وان الـذي لا يحتمل في نفسـه مواسـاة الناس فقد عرض النعمة التي هو فيهـا للزوال مهمـا كانت صور تلـك النعمة كأن تكـون مالاً أو جاهاً أو علمـاً أو منصباً أو غيرها من النعم التي يختبر بها الله سـبحانه عبده وكيف يتخلق بخلق المواساة مع أبناء مجتمعه.

الوسـيلة الثالثة: (والرجوع إلى قلب سـليم)، وفي هـذه الوسـيلة التربوية يؤكد الإمـام الجواد (عليه السـلام) على إن التشـريعات والتوجيهات الأخلاقيـة فـي المنهـج التربوي الإسـلامي إنما تنبثـق كلها من أصل واحـد، وتعتمد على ركيزة واحـدة، فهي تنبثـق من العقيدة في الله سـبحانه، وترتكز علـى الإيمان المطلق به عز وجل، ومن ثـم تتصل هـذه التشـريعات والتوجيهات بعضها ببعـض؛ وينتظـم بعضها مع بعـض؛ وحين ذاك يصعب فصل جزئية منها عن جزئية؛ وعليه فإن دراسـة أي خصلة منها ناقصة من غير الرجوع إلـى أصلها العظيم الذي انبثقت منه وتلتقي عنده؛ ويصبح العمل بها من غير قرب القصد الى أصلها العظيم لا يتحقق في عاملها صفة المسلم المؤمن؛ كمـا أنه غير واف بتحقيق ثمـار المنهج التربوي الإسـلامي فـي الحيـاة لانحراف بوصلـة قلوب العامليـن بها عن وجهتها الأصيلة وضياع القصد مرتكز الأعمال واختلال النية عندهم، ولهذا كان تأكيد الإمام محمد الجواد (عليه السـلام) على ان كل الأعمال لا بد من الرجوع بها الى القلب السليم المؤمن الخالي من غير الله سـبحانه، وهذه وسيلة عظيمة الشـأن في تربية النفس على الإخلاص لله سبحانه ومن ثم يكون العمل بالأخلاق الحسنة مع الناس غير منتظر لجـزاء منهم وحين ذاك يعمل الإنسان بالفضائل من غير الاكتراث لردود أفعال الآخرين سواء مدحوا أم لا، فالقصد بالأعمال هو الله سـبحانه فلا يمتنع عن افشـاء مكارم الأخلاق في المجتمع فيزداد بها المحبة والأخوة فيه.

والتأكيدات على هـذا المعنى التربوي واضحة فـي القرآن الكريـم، منها ما نلحظـه صريحاً في قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[٧٥]، إذ ان السلم والسـلامة يراد بها تعري القلب من الآفات النفسية الظاهرة والباطنة التي تضل الانسان عن الوصـول الى القصـد الذي من أجلـه كانت عّلة وجوده[٧٦].

وعليه ان أول ما يهتم به الإنسـان قبل الشروع بـأي عمل كان هو اصلاح النيـة وتحديد الوجهة فـي القصد مـن هذا العمل، وإلا فـإن العمل لغير وجه الله سـبحانه مضيعـة للأجر وللوقت وجالب للإثم، وهذه التربية القرآنية نلحظها في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) فيما تقدم من مقولاته وفي قوله الآخر: (القصـد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالإعمال)[٧٧]، إذ إن النية الخالصة لله سبحانه أوصل الى المُراد من اشغال الجوارح في غيرها.

ومن هذا وغيره يفهم الباحث ان المحبة والاخوة تتحقق في النية المخلصة والإيمان الصادق وهذه عنوانـات لمعاني التقـوى الجالبة لصاحبها محبة المجتمع، قال الإمام الجواد (عليه السلام): (ومن اتقى الله أحبه الناس)[٧٨]، وبها يبلغ الإنسـان الى مقام يكـون أهل ان يجعل الله سـبحانه له ودّاً في المجتمع ان انطوت نفسه على حب الخير وصدق السـريرة مع الآخرين وان كان قليل العمل بسيط الأثـر، وهـذه تربيـة قرآنيـة نلحظهـا فـي قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُـمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}[٧٩]، وهـذا الود والمحبة اصل الترابـط في المجتمع الإنسـاني وهو غير محدود بحـدٍ ولا بمكان دون غيره، فهو وعد إلهي مطلق يجعله لعباده المسـالمين مع الآخرين والسـالمين من الآفات في قلوب أبناء مجتمعهم.

ثانياً: تربية المجتمع على خُلق نبذ الظلم والعدوان.

تقدم في الفقرة الأولى تربية المجتمع بأسلوب الترغيب، ولكي تكتمل الصورة سيكون الكلام هنا عن تربية المجتمع بأسلوب الترهيب في نبذ الأخلاق الذميمة التي تفتك بالمجتمع، إذ إن الترهيب هو ما يُحذِّر من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[٨٠]، أو هو وعيد بالعقوبة على ارتكاب أمر قد نهى الله عز وجل عنه، أو التهديد لمن تهاون أو استخف بأداء فريضة أمر بها الله سبحانه.

ومن الأخلاق السيئة التي نبذتها التربية الإسلامية خُلق الظلم والعدوان، وهذا الخُلق من الأخلاق المقيتة التي تنكرها الطبيعة الإنسانية السليمة، وقد حذّر القرآن الكريم من هذا الخُلق بكل أشكاله صغيره وكبيره، وما ذاك إلا لما ينتج عنه من هضم للحقوق واستعلاء للمتكبرين الذين ينقادون وراء طغيان النفس وامراضها المشينة، وفيه سلب لحق الضعيف ووقوع الحرمان والشحناء بين أفراد المجتمع الواحد، ومجتمع يتفشى فيه هكذا سلوك عدواني تتحول الحياة فيه الى غابة تنعدم فيها الطمأنينة والوداعة، ومن ثم يصعب العيش بين افرادها، وهذا خلاف ما سنه الله سبحانه لعباده من تشريعات تنظم حياة الناس العامة والخاصة، فهذه التشريعات تضمن حقوقهم وتصون مقدراتهم ومكتسباتهم المادية والمعنوية.

فنلحظ ان القرآن الكريم حافلة آياته بمعاني الوعيد والتهديد للظالمين المعتدين على حقوق الآخرين، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[٨١]، ففي هذه الآية الكرية تهديد للظالمين في ان الله عز وجل لا يمهل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد الحجة عليهم، وفي هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم، ومعناه ولا تظنن ان الله ساهياً عن مجازاة الظالمين على أعمالهم، إنما يؤخر عقابهم ومجازاتهم إلى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الأبصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف[٨٢].

وهذا الأثر التربوي في نبذ الظلم والتحذير من عقوبته نلحظه في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) إذ حذّر المتصف بخُلق الظلم ان العاقبة وخيمة عليه حين تحل ساعة احقاق الحق وتطبيق العدل فتكون تلكم الساعة أشد وطأة على الظالم من وطأة ظلمه على الآخرين، فيقول (عليه السلام): (يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم)[٨٣]، إذ ان الخاتمة في الأعمال هي الباقية في آثارها، كما ان الظالم المتغطرس بالجور تستصعب نفسه قبول العدل لما اعتادت عليه من السطوة والخيلاء، وهذا بطبيعة حاله سيكون وقعه كبير على عنجهيتها الظالمة فيصيبها ما يصيبها من الهوان والخذلان. وحين ذاك لا معين لهم ولا نصير في الدارين، قال تعالى: {وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}[٨٤].

نعم؛ فهؤلاء الذين اتصفوا بخُلق الظلم (ليس لهم ناصر في الدنيا ولا شفيع في الآخرة، وهذه النتيجة من الخصائص المترتبة على الظلم والجور بأي صورة كان)[٨٥].

والأمر لا يقف في تربية المجتمع على نبذ خُلق الظلم على شخص الظالم فقط؛ بل تعداه المنهج التربوي الإسلامي الى ابعد من ذلك من توسعة محيط دائرة الظلم وما ذاك إلا لمقت هذا السلوك العدواني فشمل أصناف أخرى مساهمة في الظلم وهم العامل بالظلم والمساعد عليه،

والراضي به وهذا الأخير وان لم يقدم أي شكل من اشكال الدعم المادي كالفعل أو القول فهو في محيط خُلق الظلم، فهؤلاء كلهم شركاء بالظلم على حدٍ سواء، وهذا التهديد التربوي العبرة منه كف الاعتداء وتربية المجتمع على نبذه وهذه التربية نلحظها صريحة في قول الإمام محمد الجواد (عليه السلام)، إذ قال: (العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به، شركاء)[٨٦].

فهؤلاء الثلاثة (العامل والمعين والراضي) شركاء في الظلم، وما يجري على أولهم في الجزاء يجري على آخرهم، وما يصيب أولهم الظالم الفعلي من قبح الصفة وسوء العاقبة وما يشمله من العذاب الأليم يكون كذلك على المعين له على الظلم ولو بشق كلمة، وهكذا حال الراضي بظلم الظالم وان لم يتكلم بكلمة سوى ان قلبه موالي لفعلهم الاجرامي مستحسن في نفسه عملهم المنحرف، وهذا الأمر الأخير لبشاعته وللتنبيه عليه للحد منه أكد الإمام الجواد (عليه السلام) في مورد آخر قبح هذا الموقف القلبي لما ينطوي فاعله على سريرة خبيثة تحتاج الى علاج تربوي فقال (عليه السلام): (من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه)[٨٧].

وهذا الأثر التربوي في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) هو أثر قرآني واضح في آياته الكريمة، فقد حذّر القرآن الكريم من الظلم وحذّر من إعانة الظالم على ظلمه؛ بل حذّر لمجرد الركون إلى الظالم وتوعد من يركن إليه بالنار، قال تعالى: {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} [٨٨]، والمراد بالذين ظلموا هنا: كل أنواع اجرام الظالمين وصور ظلمهم سواء ظلمهم لأنفسهم بالشرك، أو من الظالمين الذين يعتدون على حقوق الآخرين، ويستحلون محارم الله عز وجل، وان المعنى التربوي في الآية: أي (واحذروا - أيها المؤمنون - أن تميلوا إلى الظالمين، أو تسكنوا إليهم؛ لأن ذلك يؤدى إلى تقوية جانبهم. وإضعاف جانب الحق والعدل. وقوله { فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّار} أي فتصيبكم النار بسبب ميلكم إليهم ، والاعتماد عليهم، والرضا بأفعالهم)[٨٩].

ولا يقف المنهج التربوي الإسلامي عند حد التعريض بالعدوان والظلم والظالمين في المجتمع الإسلامي؛ بل يمتد الى تضييق نطاق الظلم وتجفيف انبثاقه من النفس من خلال نبذ العدوان أصلاً، وهذا المنهج التربوي يشير إليه الإمام محمد الجواد (عليه السلام) بوضوح في قوله: (لا تعادي أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله، فإن كان محسناً فإنه لا يسلمه إليك وإن كان مسيئاً فان علمك به يكفيكه فلا تعاده)[٩٠].

وبيان الأثر التربوي القرآني في فكر الإمام الجواد (عليه السلام) في معنى قوله الآنف إن على الإنسان قبل الاقدام على العدوان عليه ان يتأمل في حال المقابل، فإن كان من أهل الصلاح والإحسان فهذا من المقربين لله سبحانه، والله عز وجل لا يترك عباده وهو ناصر لهم، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}[٩١]، وإن كان المقابل من أهل العصيان والاجرام وعامل بالمحرمات فهذا ناصب العداء للخالق سبحانه، والله عز وجل منتقم من المجرمين ولو بعد حين، قال تعالى: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}[٩٢]، وهذا (تعليل لعذاب الظالمين بأنهم مجرمون والعذاب انتقام منهم، والله منتقم من المجرمين)[٩٣].

والمستفاد من قول الإمام الجواد (عليه السلام) ان فيه دعوة لبناء مجتمع إنساني صالح منزوع منه العدوان على الآخرين، خال من الظلم والطغيان لما يكتنف قوله (عليه السلام) من

التفكـر في حال الآخـر وعدم الاسـتعجال في العدوان وضبط النفس بالتأمل كي لا يستشـري الظلـم في المجتمـع، وان لا يُفهم بطبيعة الحال من كلام الإمام (عليه السـلام) هو السكوت عن الظالـم وقبـول ظلمه فقـد تقدم فـي ذلك كلامه (عليه السلام) في نبذ الظلم والظالمين وأعوانهم حتى ولو كان قبوله بمجرد الرضا النفسـي عنه وان لـم يكن حاضراً لواقعـة الظلم، فقال (عليه السـلام): (من غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده)[٩٤].

ثالثاً: التقوى رباط العلاقات الاجتماعية في المنهج التربوي الإسلامي.

هناك روابط تشـد العلاقـات الاجتماعية في المجتمعـات البشـرية، ولـكل مجتمع فلسـفته الخاصة التي تُبنـى عليها العلاقات وتؤطر بها الروابـط، وهـذه الروابط تختلـف من حضارة الـى أخرى بحكم اختلاف الفلسـفة السـائدة في المجتمـع، فـإذا كانـت فلسـفة المجتمـع مادية كانـت الروابـط الاجتماعية منبثقـة منها وهي أُس التعامـل بين أفراده، وهكذا سـائر المباني النظريـة التي يعتمـد عليها كل مجتمـع، وتبعاً لذلـك المبنـى تكـون حضـارة الأمـم وعليها تبنـى الفلسـفات التربوية كذلـك[٩٥]، والمجتمع الإسـلامي من حيث مبانيـه النظرية فهو يؤمن بالغيـب وبالجزاء في الدارين، وان هذا الجزاء يعتمد علـى تطبيق ما جاء من تعاليم الدين بكل تفاصيلـه وفي كل أبعاد الحياة اليومية له، ومنه البُعد التربوي للمجتمع، إذ ترسم فكره التربوي المنبثـق مـن مبنـاه الدينـي وتربـط أواصره الاجتماعية وتضبط مسار المعاشرة بين أفراده، ليكون بالنتيجة مجتمعـا يتمتع بمكارم الأخلاق وتسـود فيـه الفضائـل، ومـن أبـرز الروابط الاجتماعيـة في الفكر التربوي الإسـلامي التي تربـط مجتمعه هو رباط التقوى والجزاء، وهو مـا سـنحاول بيانه في اظهر مظاهـر العلاقات الاجتماعية وهي علاقة الصداقة.

تقدم إن التربية قد تكون بصورة كلام مباشـر يحمـل بوضوح أسـلوب الترغيـب أو التهديد، وأخـرى كلام يحمل في طياتـه ترغيبا وترهيبا في آن واحـد، وهذا هو الواضح في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السـلام) إذ قـال: (والخلق أشكال فكل يعمل على شاكلته)[٩٦]، وهذا الأمر نلحظه من ذي قبل في اسـتعمال القرآن الكريم فـي منهجه التربوي عند خطابه للمجتمع، ومنه قولـه تعالى: {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَـاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَـنْ هُوَ أَهْدَى سَـبِيلًا}[٩٧]، ومعنى الآية الكريمـة أي: (قل أيها الرسـول الكريم للناس: كل واحد منكم - أيها الناس - يعمل على شاكلته وطريقته التي تشـاكل حاله، وتناسـب اتجاهه، وتتلاءم مع سلوكه وعقيدته، فربكم الذي خلقكم وتعهدكم بالرعاية، أعلم بمن هو أهدى سـبيلاً، وأقوم طريقاً، وسـيجازي سبحانه الذين أساؤوا بما عملوا ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى)[٩٨].

إذ إن الآيـة الكريمـة بمـا تنطـوي عليه من أسـلوب الترغيـب تبشـر العامليـن بالخيرات مـن أصحـاب النفـوس الطاهـرة، بالعاقبـة الحسـنة، وكذلك فهي تهدد المجرمين العاملين بالمنكرات، المتبعين لخطوات الشيطان، بسوء العاقبة، وذلك أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية، وانه سبحانه سيجازي كل إنسان بما يستحقه من عمله في المجتمع.

إذن أي علاقـة اجتماعيـة مهمـا كان نوعها لابد وان تكـون مرتبطة بالله سـبحانه، ويكون القصـد منها الخيـر، وإلا فإن هـذه العلاقة ان

خلت من النية الخالصة فإن مصيرها الزوال ووقوع العداوة بين أصحابها، ومثالنا هنا – كما تمت الإشارة إليه - سيكون عن علاقة الصداقة بين الناس لما لها من أهمية كبيرة في حياة الفرد، وعليه وجب التأمل عند اختيار الصديق لما له أثر كبير في شؤون الحياة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[٩٩].

وبما ان لا رابط في علاقة الصداقة من روابط القرابة وصلة رحم إلا رابط المودة الذي يكون منشؤوه القصد الصالح والقرب لله سبحانه، فهي علاقة لا تحتاج الى قرابة بقدر حاجتها الى المودة؛ بل ان القرابة بحاجة الى المودة، كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (القرابة أحوج إلى المودة من المودة إلى القرابة)[١٠٠].

فالمودة تُنشى العلاقات وتكّون الصداقات مع الغرباء في حين القرابة وان قربت لحمتها فهي تحتاج الى مودة، وهذه المودة في التربية الإسلامية لابد ان تكون مبنية على أساس التقوى.

وعند استقراء أحاديث الإمام محمد الجواد (عليه السلام) عن رابط التقوى في المجتمع نلحظه قد أعطاه أهمية بالغة ولعله المورد الوحيد أو النادر – بحسب تتبع الباحث – قد عزز بيانه فيه بآية قرآنية، فقال (عليه السلام): (والناس إخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تحوز عداوة وذلك قوله تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}[١٠١][١٠٢]، والآية هنا لها وقعها التربوي الارشادي الكبير فهي تصف مشهداً من مشاهد يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تجف فيه المشاعر وتظهر الأمور على حقيقتها وتتعرى فيها العلاقات من عناوينها الكبيرة كعنوان الأخوة والصداقة والرفقة والزمالة، وتؤكد ان لا علاقات دائمة ونافعة إلا التي قامت لله سبحانه وفيه وباسمه عز وجل، ونظراً لأهمية وخطر موضوع الصداقة في واقعنا الاجتماعي سوف نبسط فيه القول بعض الشيء اتماماً للفائدة.

إنّ المتأمل من تبدل خُلق المودة في الدنيا الى خُلق العداوة في ذلك اليوم يلحظ انه أمر طبيعي، وذلك ان انكشفت الحقيقة وبان زيف المودة وقصدها، واتضحت المأساة ووقعت التعاسة في اسوء عاقبة بعد ان ساروا في علاقة بعيدة عن التقوى، فتخبطوا في دهاليز الظلام وتنافسوا على حطام الدنيا وملذاتها الفانية، ورغّب كل واحد صاحبه في الانغماس في الملذات واتباع الشهوات ودعا كل واحد فيهم الآخر الى الرغبات وارتكاب الفواحش ومن ثم الابتعاد عن جادة الصواب، فغرقوا في بحر الغفلة والضلال، وجهل كل واحد منهما مصيره المحتوم الذي لا مناص منه.

والمنهج القرآني التربوي لم يكن غافلاً عن هذه النتيجة ان سارت العلاقات الاجتماعية في الانحراف المشين فكان ان حذّرت آياته من صديق السوء العامل على غواية صديقه، فقال تعالى: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ}[١٠٣]، فالأصدقاء (الذين انطلقوا مع الشياطين في علاقة مودّة وأخوّة وعبادة، فإن إخوانهم يشجعونهم على الغيّ والضلال بما يمدونهم به من أسبابهما ولا يكفّون عن ذلك)[١٠٤].

ولكن حين تكون التقوى حاضرة في علاقة الصداقة يكون حُسن الخُلق حاديها الى عدم الاضرار بالصديق والتسبب له بالخسران المبين، إذ الإنسان المؤمن في علاقاته الاجتماعية لا يؤذي أحداً ويكّف أذاه عن الابعدين ناهيك عن الاقربين من الاصدقاء، وهذه التربية المتمثلة بمكارم الأخلاق يؤكدها الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في قوله: (ومن حسن خلقه كفه أذاه)[١٠٥].

والمتأمل في قول الإمام (عليه السلام) يراه انه مطلق غير مُحدد لنوع الأذى أو لمكان وقوع الأذى أفي الدنيا أم في الآخرة، وهذا الخُلق في كف الأذى المطلق من شمائل المتقين في علاقاتهم الاجتماعية مع اصدقائهم، فعلاقة أهل التقوى من الأصدقاء (تبقى روابط أخوتهم، وأواصر مودتهم خالدة، لأنها تدور حول محور القيم والمعايير الخالدة، وتتضح نتائجها المثمرة في عرصة القيامة أكثر، فتمنحها قوة إلى قوتها)[١٠٦].

نعم؛ فالآية التربوية التي أشار إليها الإمام الجواد (عليه السلام) ومع ما تقدم من كلامه الشريف تعطينا استنتاج عقلي من أن الأصدقاء بطبيعتهم يتعاونون في أمور حياتهم سواء تعاون مادي أو فكري أو بأي صورة كان التعاون فهو ديدن العلاقات الاجتماعية، فإذا كانت علاقتهم مبنية على أساس المكر بالآخرين وأعمال الشر في المجتمع والتنافس على الفساد، فهم بطبيعة الحال شركاء في الجرم متقاسمين أثم المعصية، ومن ثم تكون ثمار هذه الأعمال السيئة العداوة ان لم يكن في عاجل الدنيا فمن المؤكد وقوعه في الآجل، يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): (ألا كل خلة كانت في الدنيا في غير الله عز وجل فإنها تصير عداوة يوم القيامة)[١٠٧].

وإن كانت علاقتهم الاجتماعية مبنية على أساس الفضيلة وعمل الخير والسعي للصلاح فهم شركاء في الجزاء واستحصال الثواب ونيل العطية، فهذه الخصال من ثمار رابط التقوى الرائد لكل خير في الدارين، وأين ما حلّت التقوى كانت السلامة من الهلاك والخسران، وكذلك هي الغنيمة في الصحبة وحسن المنقلب، وهذه المعاني نلحظها في وصية الإمام محمد الجواد (عليه السلام) لأحد أصحابه إذ قال: (أوصيك بتقوى الله، فإن فيها السلامة من التلف، والغنيمة في المنقلب)[١٠٨].

وعلى هذا نقول: أنّ لا مجال لموضع العجب والاندهاش من أن يتبدل ذلك الخليل من النوع الأول إلى عدو مبين ناكر، وان يثبت الخليل من النوع الثاني على موّدته ويشتد حبه وحرصه على صديقه في اضنك المواقف وأحرجها وهي عرصات وأهوال يوم القيامة.

إذن المنهج التربوي الإسلامي في رافديه القرآن الكريم والعترة الطاهرة (عليهم السلام) حريص على بناء علاقات اجتماعية على أساس رابط التقوى والصلاح، وبذات الوقت حريص على التحذير من العلاقات التي تُبنى على غير ذلك مهما كانت مسمياتها وعنواناتها، فدعت آيات القرآن الكريم الى الاختلاط مع الصالحين المؤمنين، والابتعاد عن الأشرار المفسدين من اتباع الهوى، فقال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}[١٠٩]، نعم؛ قد لا يكون الصديق الصالح من أهل الترف، أو قد يكون غير مرموق في المجتمع، أو ان مظهره بصورته العامة لا يعكس انه من أهل الوجاهة، ولكنه من أهل التقوى والصلاح ومن أصحاب مكارم الأخلاق، فالتدبر في الآية الآنفة نلحظ ان فيها تقريعاً تربوياً بالغاً إذ تتعرض الى الحمقى (الذين جعلوا همهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم النفسية فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيرة وجعلوا همّهم الصور الظاهرة)[١١٠] التي لا تعبر عن واقع النفوس

المنحرفة مهما كان ضوء بريقها، ونرى ذلك الأثر التربوي حاضراً عند الإمام الجواد (عليه السلام) حين حذّر من يكون رباط الصداقة مبنياً على المظهر والشكل لا على الصلاح والتقوى، فإن عاقبة هكذا صداقة هو الخذلان والخسران والعناء لما يترتب عليها من آثار المعاشرة، فقال (عليه السلام) ناصحاً: (إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره، ويقبح أثره[١١١].

ولخطر هذا المعنى التربوي نلحظ ان الإمام الجواد (عليه السلام) يؤكد على أنّ الأخلاق تتأثر بأخلاق الصديق سلباً أو وايجاباً، فإن كانت أخلاق الصديق صالحةً فهذا الصلاح ينعكس على أخلاق قرينه فيكون صالحاً مثله، وإن كان الصديق صديق سوء بأخلاقه كان القرين تبعاً له فاسداً، فقال (عليه السلام): (فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء)[١١٢].

نعم، أنّ العلاقات الاجتماعية التي يكون رباطها التقوى بين الأصدقاء نافعة لهم في الدارين، وهم المتحلّون بصفات التقوى من الثقة والمحبة والصلاح، وهذه التربية القرآنية نلحظ أثرها الجلّي الواضح في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) إذ قال: (ان إخوان الثقة ذخائر بعضهم لبعض)[١١٣]، وحقيقة ان كان اختيار الصديق التقي ذخراً للآخرة وفي موقف يفر منه المرء من أهله والناس فيقيناً ان هذا الصديق التقي هو نافع في العون على شؤون الدنيا وحوائجها، وما يحتاجه الصديق من النصح لما فيه الرشاد، وكذلك النصرة على النفس، ويرسخ الإيمان عنده.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع آيات الكتاب العزيز وأقوال الإمام محمد الجواد (عليه السلام) في عالمها التربوي نصل الى شاطئ الخاتمة لنسجل أبرز النتائج التي منها:

١. التربية الصالحة هي طريق لإعداد الإنسان الصالح الرسالي المتميز في فكره وسلوكه الإنساني، وتمكنه من توظيف مصادر المعرفة الأصيلة لديه في حل مشاكله ومشاكل مجتمعه.

٢. إن الأنبياء والرسل والأولياء (عليهم السلام) هم صفوة الخلق أعدهم الله سبحانه لتحمل الأمانة الكبرى في تبليغ رسالته وتربية وهداية الناس، والإمام محمد الجواد (عليه السلام) وريث الأنبياء في منهجهم التربوي.

٣. لاحظنا إن التربية القرآنية وأثرها الجلي في فكر الإمام محمد الجواد (عليه السلام) تحث الفرد الى تربية نفسه في الوقوف على معارف الخير والشر، وان معارف الخير كامنة في اتباع دين الله سبحانه وما ورد من ارشاد تربوي في آيات الكتاب العزيز وتوجيه أخلاقي في سُنة المعصوم (عليه السلام)، ومعارف الشر كامنة في هوى النفس وشهواتها المخالفة لما ارادت السماء واتباع سبيل الشيطان وخطواته، وكذلك مراقبة النفس حين صراعها الازلي بين الدين والشهوات، فهذا الصراع هو سر وجود البشر، وعليه تكون قيمة الإنسان اما يرتقي بتقواه الى مصاف الملآئكة أو ينزل باتباع شهوته الى حضيض البهائم، فكل ذلك مناط بعمله وسعيه لكماله الإيماني في هذه الحياة من قبل الممات.

٤. إنَّ الأثر القرآني التربوي في فكر الإمام الجواد (عليه السلام) في بُعده التربوي الاجتماعي أكد على خُلق الأخوة والمحبة في المجتمع، وهو قوام التعايش بين أفراده وأساس السلام.

٥. إن تربيــة المجتمــع على خُلــق نبذ الظلم والعدوان هو تأكيــد على ان الأصل في المنهج التربــوي القرآني وأقوال الإمــام الجواد (عليه الســلام) في أنّ الإسلام دين يبني المجتمع على المحبة والاخوة.

٦. أخيــراً.. إن تراثنــا الفكــري التربوي في عموديــه (القــرآن الكريــم والمعصــوم (عليه الســلام)) فيــه مــن القيــم والمبــادئ والآراء والنظريات التي تحتاجها البشــرية اليوم للأخذ بهــا والســير على هديهــا، وإن مجــرد الوعي بوجــود هــذه المنظومــة العظيمــة لا يكفي في صناعــة فرد أو مجتمع ما لــم تأخذ طريقها في حياتهــم الفكرية والســلوكية وتترجــم الى واقع حالهم فكراً وسلوكاً.

ختامــاً.. ان كل ما ســطره الباحث من معاني في بحثــه هذا لا يدعي فيه الكمــال البتة، وانما يزعم انــه بذل جهده واســتنفر طاقته في خدمة معــارف القــرآن الكريم والإمام محمــد الجواد (عليــه الســلام)، ويرجــو بــه من الله ســبحانه الرضا والقبول وان يجد ســبيله ليكون نافعاً في الدنيا وشافعاً في الآخرة.

الهوامش

١- ســيرة الأئمة الاثني عشر، محمد حسن آل ياسين، ٢٢/٣.

٢- ســيرة الائمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، ٤٣٧/٢.

٣- الإمام محمد الجواد ع معجزة الســماء في الأرض، استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، ص١٩٧.

٤- ظ: النص الإلهي لإمامة محمد الجواد (عليه السلام)، م.م. ابتسام رسول حسين، ص٧.

٥- تربيتنا الروحية، سعيد حوى، ص٦٩.

٦- سورة القصص، الآية: ٥٠.

٧- سورة طه، الآية: ١٢٣.

٨- ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٩٣/٦.

٩- كشــف الغمة، الإربلي بهاء الدين علي بن عيســى (ت:٦٩٢هـ)، ١٣٨/٣.

١٠- سورة الشمس، الآية: ٧-٨.

١١- التفســير الوســيط للقرآن الكريم، د. محمد ســيد طنطاوي، ٤٢١/١٠.

١٢- الأمثل في تفســير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٥١٩/١٢.

١٣- كشف الغمة، الإربلي، ١٣٨/٣.

١٤- بحار الانوار، المجلسي، ٨٣/٧٥.

١٥- بحار الأنوار، المجلسي، ٣٦٤/٧٥.

١٦- سورة القصص، الآية: ٥٠.

١٧- ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٢٢/٧.

١٨- سورة النساء، الآية: ٤٩.

١٩- الأمثل في تفســير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢٦٦/٣.

٢٠- بحار الأنوار، المجلسي، ٣٦٥/٧٥.

٢١- الكافي، الكليني، ٥٤٨/٢.

٢٢- التربيــة والمجتمع في فكر الإمام الخميني، جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافية، ص١٣.

٢٣- بحار الأنوار، المجلسي، ٨١/٧٥.

٢٤- بحار الأنوار، المجلسي، ٣٦٤/٧٥.

٢٥- سورة يونس، الآية: ٨٤.

٢٦- في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٨١٥/٦

٢٧- سورة العلق، الآية: ١٤.

٢٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٢٤/٤.

٢٩- سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

٣٠- بحار الأنوار، المجلسي، ٣٥٨/٧٥.

٣١- المصدر نفسه، ٣٦٤/٧٥.

٣٢- سورة المائدة، الآية: ٢.

٣٣- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٤٢١/٢.

٣٤- بحار الأنوار، المجلسي، ٣٥٩/٧٥.

٣٥- سورة الكهف، الآية: ١٠٣.

٣٦- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، ١٥٧/١٦.

٣٧- بحار الانوار، المجلسي، ١٥٤/٦.

٣٨- سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

٣٩- الميزان في تفسير القرآن، ٢٨٧/١٤.

٤٠- بحار الانوار، المجلسي، ٩٤/٢.

٤١- سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

٤٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٤٩/١٥.

٤٣- سورة الحشر، الآية: ٧.

٤٤- تفسير التحرير والتنوير، ٧٧/٢٨.

٤٥- ظ: بحار الأنوار، المجلسي، ١٤٥/٢٣، مسند احمد، احمد بن حنبل، ١٤/٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢٢/٤.

٤٦- بحار الانوار، المجلسي، ١٥٤/٦.

٤٧- بحار الانوار، المجلسي، ١٥٤/٦.

٤٨- المصدر نفسه، ٨١/٧٥.

٤٩- الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص١٧٣.

٥٠- هاتان كلمتان تستعملان في تخلية الوعاء وتنظيفه من الكدر ثم وضع النافع المفيد فيه وتحليته به، وكذا الحال في تخلية القلب: وهو إخراج ما فيه من الضلال والباطل، وتحليته تكون بوضع الحق والصواب.

٥١- بحار الأنوار، المجلسي، ٨١/٧٥.

٥٢- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، ص١٣١.

٥٣- سورة ص، الآية: ٢٦.

٥٤- تفسير مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٠٠/٢٦.

٥٥- المصدر نفسه، ٢٠١/٢٦.

٥٦- سورة الملك، الآية: ١٤.

٥٧- ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢١٤/١٨.

٥٨- ظ: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٦٧٠.

٥٩- ظ: الدعوة الاسلامية اصولها ووسائلها، أحمد علوش، ص٢٥٧.

٦٠- بحار الأنوار، المجلسي، ٨٢/٧٥. الانطواع: الانقياد. والقياس الانطياع بالياء.

٦١- سورة النحل، الآية: ٩٠.

٦٢- شرح نهج البلاغة، بن أبي الحديد، ٥٨/١٩.

٦٣- ظ: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٦٤.

٦٤- المفردات، ١٦٠/١.

٦٥- سورة الحجرات، الآية: ٩.

٦٦- تفسير مفاتيح الغيب، ١٣٩/٩.

٦٧- تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٣٥.

٦٨- تهذيب الأخلاق، ٧/١.

٦٩- سورة النساء، الآية: ٣٦.

٧٠- سورة البقرة، الآية: ٨٣، سورة الأنعام، الآية: ١٥١، سورة الإسراء، الآية: ٢٣ مضافاً إلى الآية محل البحث.

٧١- الأمالي، المفيد، ص١٩١.

٧٢- بحار الأنوار، المجلسي، ٣٦٤/٧٥.

٧٣- المصدر نفسه، ٨٠/٧٥.

٧٤- كشف الغمة، الاربلي، ٣٤٧/٢.

٧٥- سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

٧٦- ظ: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٤٢١.

٧٧- بحار الأنوار، المجلسي، ٦٠/٦٧.

٧٨- المصدر نفسه، ٧٩/٧٥.

٧٩- سورة مريم، الآية: ٩٦.

٨٠- ظ: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٦٧٠.

٨١- سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

٨٢- ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ٦٧/٦.

٨٣- كشف الغمة، الاربلي، ١٤٠/٣.

٨٤- سورة البقرة، الآية: ٢٧٠.

٨٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٣١٩/٢.

٨٦- كشف الغمة، الاربلي، ٣٤٨/٢.

٨٧- كشف الغمة، الاربلي، ٣٤٩/٢.

٨٨- سورة هود، الآية: ١١٣.

٨٩- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ١٥٩١/١، ويذكر المفسر هنا استثناء إذ قال: (قال بعض العلماء: ويستثنى من ذلك للضرورة صحبة الظالم على التقية مع حرمة الميل القلبى إليه).

٩٠- كشف الغمة، الاربلي، ١٣٨/٢.

٩١- سورة الحج، الآية: ٣٨.

٩٢- سورة السجدة، الآية: ٢٢.

٩٣- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ٢٦٤/١٦.

٩٤- بحار الأنوار، المجلسي، ٨١/٩٧.

٩٥- للتوسعة في مباني المجتمع المدني والمجتمع الإسلامي ظ: المجتمع الإسلامي المعاصر، د. محمد كاظم الفتلاوي، ص٣٢.

٩٦- بحار الأنوار، المجلسي، ٨٢/٧٥. والشاكلة: الطريقة والسيرة التي اعتادها صاحبها ونشأ عليها. وأصلها شاكلة الطريق، وهي الشعبة التي تتشعب منه.

٩٧- سورة الاسراء، الآية: ٨٤.

٩٨- التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٤٢٨/٨.

٩٩- بحار الأنوار، المجلسي، ١٩٢/٧١.

١٠٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٢١٤/١٩.

١٠١- سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

١٠٢- بحار الأنوار، المجلسي، ٨٢/٧٥.

١٠٣- سورة الاعراف، الآية: ٢٠٢.

١٠٤- تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ٣١٣/١٠.

١٠٥- كشف الغمة، الاربلي، ١٤٠/٣.

١٠٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ٩٠/١٦.

١٠٧- بحار الأنوار، المجلسي، ٢٧٧/٦٧.

١٠٨- الكافي، الكليني، ٥٢/٨.

١٠٩- سورة الكهف، الآية: ٢٨.

١١٠- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥٥/١٥.

١١١- بحار الأنوار، المجلسي، ١٩٨/٧١.

١١٢- المصدر نفسه، ٨٢/٧٥.

١١٣- بحار الأنوار، المجلسي، ٣٦٢/٧٥.

المصادر

القرآن الكريم

١- أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٥م.

٢- الإمام محمد الجواد ع معجزة السماء في الأرض، استاذنا الدكتور محمد حسين الصغير، دار الضياء، النجف الاشرف، (دت).

٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٤- بحار الأنوار، المجلسي محمد باقر (ت:١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

٥- التربية والمجتمع في فكر الإمام الخميني، جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافية، الناشر: مراكز الإمام الخميني الثقافية، ٢٠١٥م.

٦- تربيتنا الروحية، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٧- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر (ت:١٩٧٣م)، مؤسسة التاريخ، بيروت.

٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، دار صبح، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.

٩- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٣م.

١٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٨م.

١١- تفسير مفاتيح الغيب، الرازي فخر الدين محمد (ت:٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

١٢- تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.

١٣- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه أحمد بن محمد (ت:٤٢١هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٥م.

١٤- التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، تحقيق: عبد الحميد حمدان، القاهرة، ١٤١٠هـ.

١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي عبد الرحمن (ت:١٣٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٦-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري (ت:٦٧١هـ)، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

١٧- الدعوة الاسلامية اصولها ووسائلها، أحمد علوش، دار الكتب اللبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

١٨- سيرة الأئمة الاثني عشر، الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠١٢م.

١٩- سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، منشورات الإمام الرضا ع، بيروت، ط٧، (دت).

٢٠- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)، السيد حسن القبانجي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت:٦٥٥هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.

٢٢-الفرائض العبادية وأثرها في البناء الإنساني -دراسة قرآنية-، د. محمد كاظم الفتلاوي، مؤسسة الضمان، النجف، ٢٠١٤م.

٢٣- في ظلال القرآن، سيد قطب (ت:١٩٦٦م)، دار شروق، القاهرة، ط٣٤، ٢٠٠٤م.

٢٤- الكافي، الكليني محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٦٧هـ.

٢٥- كشف الغمة، الإربلي بهاء الدين علي بن عيسى (ت:٦٩٢هـ)، دار الاضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٦-المجتمع الإسلامي المعاصر، د. محمد كاظم الفتلاوي، دار حدود، بيروت، ٢٠١٨م.

٢٧- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي الفضل ابن الحسن (ت:٥٤٨هـ)، مكتبة دار المجتبى، النجف الاشرف، ٢٠٠٩م.

٢٨- مسند احمد، احمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٩- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني (ت:٤٢٥هـ)، نشر مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٧م.

٣٠- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٣١- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.

٣٢- النص الإلهي لإمامة محمد الجواد (عليه السلام)، م.م. ابتسام رسول حسين، مجلة التراث العلمي العربي، مركز إحياء التّاث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد ١، ٢٠١٣م.

The educational Quranic impact on the thought of Imam Muhammad Al-Jawad – Interpretive study -

Professor Dr. Muhammad Kazem Al-Fatlawy.

University of Kufa / College of Education.

Abstract-

This research sheds light on ethical topics that the researcher finds of great importance in the well-being of society. The texts of the Noble Book and the sayings of the Infallible Imam were the pioneers in strengthening them or finding solutions for them. The choice was from the sayings of Imam Muhammad al-Jawad and the statement of the Qur'anic educational impact on them, while seeking the opinions of commentators in approximating the issue. Educational meaning.

upon him (spiritual education), and the second on the educational Qur'anic impact on the thought of Imam Al-Jawad, peace be upon him (social education), followed by a conclusion containing the most prominent results and a list of sources.

Keywords: (Qur'anic influence, educational, Imam Al-Jawad, interpretation).